

سر العربية

ما هو السر الذى عجز عن فهمه خصوم اللغة العربية
والذى عارض ما قرره علم اللغات ؟

الاستاذ أنور الجندي

كرسى للغة العربية ، وقد تضاعفت هذه المراكز حتى بلغت عشرين مركزاً في سبع جامعات مختلفة ولا ريب أن مثل هذا قد حدث في فرنسا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة والهدف هو استكشاف الأمة العربية عن طريق لغتها ولسانها رغبة في احتوائها وحربها ومن هذه المعاهد انطلقت الدعوات التي حملها رجال من الغرب أولاً ثم من العرب ثانياً داعية إلى العامية وإلى كتابة الحروف العربية باللغة اللاتينية وهي دعوات بدأت منذ احتلال مصر واحتلال الجزائر وعرف من رجالها كولون وولكوكس ووليمور وعشرات غيرهم ثم جاء بعد ذلك لطفى السيد وسلامة موسى ومارون غصن ولويس عوض وعشرات غيرهم .

ولم تتوقف هذه الحملات منذ بدأت ، فهي تظهر في قطر من الاقطار ثم في قطر آخر ، ولكنها تتوارى دون توقف . وآخر هذه الحملات مشروع العربية الاساسية التي تقدمت به بعض الهيئات الاجنبية عام 1973 في مؤتمر برنابا ، ولا عجب في ذلك فان

ان ما تواجه به اللغة العربية في عالم الغرب لا يكشف عن تقدير حقيقى للغة العربية بقدر ما يكشف عن محاولة البحث وراء سر هذه اللغة الذى أعطى وما زال يعطى هذه الامة تلك القوة وذلك الثبات وهذه القدرة الفائقة على المقاومة ورد العدوان والوصول الى امتلاك الارادة .

ولقد تواترت اخبار كثيرة بعد معركة رمضان توحى بالاهتمام البالغ بالدراسات الاسلامية في مختلف جامعات الغرب والتركيز على اللغة العربية بالذات بوصفها لغة القرآن ولغة امة العرب ولغة الثقافة والعقيدة لما يصل الآن بدون مبالغة الى الف مليون من المسلمين .

والمعروف ان الاستشراق قد اولى اهتمامه باللغة العربية منذ وقت بعيد وانشأ في الجامعات الاوربية كراسى لها ، خاصة في اكسفورد وكمبريدج خلال القرن الخامس عشر الميلادى . امكن على اثرها ترجمة القرآن الى اللغة الانجليزية عام 1734 .

ثم انشئ عام 1916 في مدرسة اللغات الشرقية

اللغة العربية هدف من أكبر أهداف التقريب والغزو الثقافي وأن المؤامرة على الفصحى مستمرة وموجهة أساسا الى القرآن والاسلام .

ومنذ أن طوق الاستعمار العالم الاسلامى وسيطر عليه كان من اعظم خططه ايقاف اللغة العربية عن النمو ، فحبل بينها وبين أن تساير الاسلام في حركة توسعه وكان ذلك من أخطر التحديات وأضخم المحاذير التى واجهت حركة الاسلام النامية التوبة المندفعة الى الأمام في محاور متعددة، الى تلب افريقيا، والى جنوب شرق آسيا والى الغرب ، وما تزال تلك من أكبر القضايا الجديرة بالعناية والبحث لازالة العوائق التى تقف في طريق تكامل النمو الاسلامى ، ديننا ولغة ذلك لان هذا الدين ، كتابه القرآن ولغته العربية ، وان أى نمو له بغير اللغة مصاحبة له ومؤازرة . من شأنه ان يقتل من أثره ويخفف من خطوه . وقد شهد التاريخ كيف سيطرت اللغتان الفرنسية والانجليزية على أجزاء كبيرة من الاقطار الاسلامية والعربية الاسيوية والافريقية التى احتلتها الاستعمار الغربى كما سيطرت اللغة الهولندية على أجزاء كثيرة من جنوب شرق آسيا .

هل تصبح العربية لغة العالم الاسلامى :

ولارب انه كان لسيطرة اللغتين الغربيتين ، اثر كبير في ايقاف نمو اللغة العربية في بلادها غير أن انكسار الموجة الاستعمارية والفكرية في السنوات الاخيرة قد يجدد الامل في العودة الى الخط الطبيعى الجامع بين الاسلام واللغة العربية بحيث تصبح العربية الفصحى لغة المسلمين في كل مكان بعد لغتهم القومية لأنها لغة الفكر والثقافة والعقيدة . ولأنها اللبنة الاولى في بناء الوحدة الاسلامية التى هى في اساسها وحدة فكر وعقيدة وثقافة .

وفي الباكستان تظهر منذ سنوات اشعة كثيرة لهذا العمل ، ويحمل رجالها الدعوة الى ان تصبح اللغة العربية لغة رئيسية في الثقافة الاسلامية الباكستانية التى تعتمد على اللغة الاوردية وقد قرر الباحثون الذين حملوا لواء هذه الفكرة منذ أكثر من

ثلاثين عاما أن اللغة العربية مكانتها العظمى لأنها هى التى حملت رسالة السماء (القرآن) هذه الرسالة (الاسلام) التى اضاءت آفاق الكون برشدها ، وهم يردون الفضل الى الامة العربية التى رفعت راية التوحيد وفتحت مشارق الارض ومغاربها وحملت معها لغتها وثقافتها من حدود (فرنسا الى ارض السند) مما أدى الى انكباب الناس على تعلم العربية وثقافتها (وخاصة في الشعبين العظيمين : الفرس والترك مع مسلمى الهند) ومن ثم تجلّى أن اللغة العربية لغة لاتعرف الحدود الزمانية والمكانية لأنها حاملة لرسالة الاسلام ويقول الاستاذ (جل سعيد شام بن تريب الله) في بحث له : ان الباكستان دولة اسلامية غرسها العرب في أول رحلة لهم في فتح السند ، وها هى الشجرة تعطى ثمارها واللغة العربية بوصفها لغة القرآن والحديث فان تعلمها فريضة على كل مسلم ، وأول ما يبدأ به مسلمو باكستان هو تعليم ابنائهم القرآن الكريم ثم اللغة العربية كما يتعلم هؤلاء الاطفال اللغة العربية في المدارس العصرية هذا فضلا عن ان اللغة الاوردية تكتب بالحروف العربية ، كذلك اللغات التعليمية فانها جميعا تكتب بالحروف العربية وأقربها الى العربية : اللغة السندية التى تحمل ستين في المائة من الفاظ اللغة العربية .

وفي أكثر من قطر في افريقيا وآسيا تتردد الدعوة الى وجوب جعل اللغة العربية « لغة ثانية » في البلاد الاسلامية التى لاتتكلم العربية وأن في العالم الاسلامى حسبما اورده احصاء آخر أكثر من 250 مليوناً من المسلمين يكتبون الحروف العربية وأن الحروف العربية قد انتشرت منذ جاء الاسلام وكتبت بها لغات اسلامية كثيرة منها الفارسية والافغانية والكردية والمغولية والبربرية والسودانية والساحلية ولغة اهل الملايو واللغة التركية (مثل عام 1926) وذلك عدا أكثر من مائة مليون عربى يكتبون بالخط العربى .

وهكذا نرى أنه مع محاولات الغزو الفكرى والتفريب للقضاء على اللغة العربية في بيئاتها أو ايقاف نموها في البلاد التى يمتد اليها الاسلام فانها تحاول أن تكسر هذا القيد ، لتستعيد مكانتها من

جديد ، بعد ان حجبته الفرنسية والانجليزية سنوات طويلة .

والفضل ما شهدت

ومن العوامل التي تدعو الى دعم الجهود وتركيزها في ابلاغ رسالة اللغة العربية الى العالمين نجد ان الذين استطاعوا ان يفهموها ويعرفوا قدرها من متصنفي الغرب قد شهدوا لها شهادة حق .

تقول الدكتورة جاكين ماركس الاختصاصية في علم اللغات (سان باولو بالبرازيل) بعد ان امضت سنوات في دراسة لغات العالم ، ان العربية من بين العشر اللغات الأكثر انتشارا في العالم ، وأنه لايسبقها الا الصينية (605 مليون) والانجليزية (233 مليون) علما بأن أغلب هؤلاء ليسوا انجليزا وان فيهم هنودا وأمريكان .

ويشير الاستاذ (بيروجيرو) كلية الآداب والعلوم الانسانية بمدينة نيس في بحث ضاف له عن اللغة العربية انها : اثرت تأثيرا ضخما وعميقا في اللغات الفرنسية والاطالية والاسبانية وان عشرات من الكلمات الفرنسية ذات اصل عربى منها الكحول والأكسير وأن العرب قد كشفوا للعالم بصفتهن مبرزين في ميدان الكيمياء والصيدلة عدة مواد ومحاولات مثل (الكافور) و (القطران الملائق) وأن عشرات من الكلمات العربية دخلت الى أوربا عن طريق التجار العرب الذين كانوا يقصدون بلاد ايطاليا وخاصة البندقية وتستعمل هذه الالفاظ اليوم في البحرية والموازين والميدان العسكري كدار الصناعة والتي تحولت الى (أرسنال) وكنجم النطير والزيت (السميت) وكلمة الصفر والكارا والقنطار وكلمات الزعفران والخروب والسبانخ والغزال والبيضاء .

ويقول : وقد بدأ يقل مفعول الادب العربى على الغرب ابتداء من القرن الرابع عشر ، واقتصر تزويد القاموس الفرنسى عبر اسبانيا وايطاليا طوال الفترة من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر بعدة كلمات ومفردات اثرت في العلم الحديث واللغات الحديثة .

ويؤكد المستشرق (ازنة امبروس) ان الثقافة

الانسانية تعتمد على لغتين فحسب ، هما العربية واللاتينية ويقول : ان اللغة العربية بقيت عزيزة الجانب لم تتأثر بغيرها من اللغات بل على العكس كان لها تأثيرها الواضح على غيرها من لغات الارض جميعا ، وأنه لا يمكن فهم المصنفات الادبية الفارسية او التركية بدون العودة الى الكلمات العربية وذلك ان وحى القرآن الكريم الذى لايجارى يعد بلأريب اساس عقيدة الانسانية والثقافة البشرية .

ويقول وليم ردل : ان اللغة العربية لسم تتهقر قط فيما مضى امام لغة من اللغات التي احتكت بها وذلك ان لها لينا ومرونة تكتانها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر ، ولقد كان للغة العربية في لغات الامم المسلمة اثر طبيعي ، ذلك أنه بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اى لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية وحدها هى اللسان الذى أحل لهم ان يستعملوه في صلاتهم وبهذا اكتسبت اللغة العربية من زمن طويل مكانة رفيعة فانت جميع اللغات الاخرى التي تنطق بها شعوب اسلامية .

السر الذى خفى على الشعوبيين :

من هذا كله نعرف «سر» الحملة على اللغة العربية والتآمر عليها فهى لغة القرآن والاسلام واللغة التي لم تتهقر منذ جاء الاسلام ولم تفقد حيويتها او نفوذها ، وقد تبرت عشرات اللغات وما تزال هى حية .

ولقد يظن خصومها من رجال الاستشراق والتبشير والتغريب انهم يستطيعون ان يقارنوها باللغة اللاتينية ويدعون الى ارتفاع اللهجات العربية لتصبح لغات تقبر بعدها العربية كما تقبرت اللاتينية عندما ظهرت اللغات الغربية الحديثة : الفرنسية والايطالية والانجليزية ، ولكنهم واهمون وقاصرون عن فهم ابعاد اللغة العربية ومكانتها ، ولذلك فان قوانين علم اللغات التي انتزعوها من اللغات الاوربية تعجز عن ان تستوعب لغة القرآن ، ذلك ان اللغة العربية ليست لغة امة فحسب ولكنها الى ذلك لغة دين وعقيدة وفكر يستوعب اكثر من الف مليون من المسلمين ويمتد

أربع عشر قرنا وما من لغة بلغت ذلك طولا وعرضا .

ولقد حاول التغريب أن يصطنع طائفة من الشعوبيين والمستغربين ليحملوا لواء هذه الدعوة وحاولوا ما استطاعوا ثم فشلوا وعجزوا ، وعادوا هم يكتبون باللغة العربية الفصحى ومن هؤلاء سلامة موسى ولويس عوض أعدى أعداء اللغة العربية ، ذلك لأنهم وغيرهم انما اندفعوا بأهواء الدين والعنصرية والحد الأدنى ، ولو كانوا درسوا أبعاد قضية اللغة العربية وصلتها بالقرآن الكريم الذى حماها من دخول المتحرف ما عاشت والى أن يرث الله الأرض ومن عليها لقتصروا فى باطلهم ، ولتوقفوا عن غيهم ، ومن هنا فقد خُبثت تلك العبارات التى يرددها

القائلون : هذه اللغة ملكنا ونحن أصحابها ولنا حق التصرف فيها ، وذلك قول باطل وغير صحيح ومردود، يرده واقع التاريخ ومنطق البحث العلمى ، وربما كان صحيحا بالنسبة للغات الاوربية اما بالنسبة للغة العربية فان الامر جد مختلف ذلك أن اللغة العربية منذ أن نزل بها القرآن أعطاه أبعاد مترامية وواقعيا خاصا متميزا وسيظل الترابط بين المسلمين ولغة الضاد الفصحى : لغة القرآن قائما ، محطما كل توانين علم اللغات التى تعجز عن أن تفسر العربية . وما تزال حلقات جديدة من المؤامرة على اللغة العربية تظهر هنا وهناك بين حين وآخر وعلينا أن نكون واعين لمصدرها ، كاشفين لزيغها .